

الملك وسورة البقرة

الله؟

د. ربيع أحمد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى أصحابه الغر الميامين ، و على من  
أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فقد انتشر في عصرنا مرض الإلحاد ، وهو أحد الأمراض الفكرية الفتاكة إذ يفتك بالإيمان و يعمي  
الحواس عن أدلة وجود الخالق الرحمن ، و تجد المريض يجادل في البديهيات و يجمع بين النقيضين  
ويفرق بين المتماثلين ، ويجعل من الظن علما و من العلم جهلا و من الحق باطلا و من الباطل حقا .

ومن عوامل انتشار هذا المرض الجهل بالدين و ضعف العقيدة واليقين والاسترسال في الوسوس الكفرية  
والسمع والقراءة لشبهات أهل الإلحاد دون أن يكون لدى الإنسان علم شرعي مؤصل .

وشبهات أهل الإلحاد ما هي إلا أقوال بلا دليل وادعاءات بلا مستند ، ورغم ضعفها و بطلانها إلا أنها  
قد تؤثر في بعض المسلمين لقلة العلم وازدياد الجهل بالدين ولذلك كان لابد من كشف شبهات  
ومغالطات ودعاوي أهل الإلحاد شبهة تلو الأخرى و مغالطة تلو المغالطة ودعوى تلو الدعوى حتى لا  
ينخدع أحد بكلامهم وشبههم .

و في هذا المقال سنتناول بإذن الله بيان خطأ سؤالهم من خلق الله فهو سؤال غير منطقي و غير صحيح  
إلا أن الملاحظة يكررونه دوما .

## بيان شبهة الملاحدة

يقول الملاحدة : أنتم أيها المؤمنون بوجود الإله تسألون عن علة وجود المادة الأولى للكون وتجيئون بأن علة وجود المادة الأولى للكون هي الله، ونحن نسألكم وما علة وجود الله ؟ وستجيئون بأن الله غير معلول الوجود، فلماذا تفنون بمبدأ السببية وتعطلونه عندما يتعلق الأمر بالله؟ و هنا نجيبكم ، و لماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود، وبذلك يُحسم النقاش .

ويقول بعضهم : إذا قلنا بأن للكون خالق فهذا سيؤدي بنا إلى القول أن هذا الخالق له خالق آخر ، وهذا يمهد الطريق لآخرين ليضيفو خالقين آخرين ، وهذا تسلسل ممنوع فالتوقف عند الكون يعني التوقف عند المحسوس والملموس المدعوم بدليل، ويغلق الباب أمام من يحاول إضافة أسباب أخرى، بينما الإيمان بخالق هو بحد ذاته من يفتح الباب للقول بالتسلسل .

## عدم منطقية سؤال من خلق الله

سؤال من خلق الله من الأسئلة غير المنطقية فالخالق لا يُخلق ، و الله ليس مخلوقا لنسأل من خلقه ، و الله قديم ليس حادثا أول ليس قبله شيء ، فلا ينطبق عليه قانون الحوادث في السؤال عن خالقه ، و السؤال عن أحدثه ، و المخلوقية من صفات الحوادث ، وهي الأشياء التي وجدت بعض أن لم تكن موجودة فكيف نصف الخالق بصفات الحوادث و ننسب له ما لا يليق؟! .

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد : الآية ٣ )  
أي : الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم .

و الله - سبحانه وتعالى - أزلي ليس لوجوده بداية فوجوده ذاتي لا ينفك عنه أي يبقى إلى الأبد ، وإذا كان الله ليس لوجوده بداية فكيف نسأل عن سبب وجوده؟! وكيف نسأل عن علة لوجوده!؟

والأصل في الخالق الوجود إذ لو كان الأصل فيه العدم لما أوجد الكون ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وإذا كان وجود الله هو الأصل ، فهذا يستلزم أنه لا يحتاج إلى موجد يوجده ، ولا علة لوجوده إذ لا يبحث عن علة وجود ما الأصل فيه الوجود .

وقول القائل : إن خالق الكون بحاجة إلى خالق رغم أنه خالق قريب من قول القائل إن الملح يحتاج إلى ملح كي يكون مالحاً رغم أنه ملحاً، وإن السكر يحتاج إلى سكر حتى يكون حلواً رغم أنه سكر ، وإن الأحمر يحتاج إلى اللون الأحمر كي يكون أحمرًا رغم أنه أحمر.

و قول القائل : من خلق الله ؟ يساوي قوله : ما الذي سبق الشيء الذي لا شيء قبله ؟ و يساوي قوله : ما بداية الشيء الذي لا بداية له ؟ و يساوي قوله : ما بداية وجود الشيء الذي لا بداية لوجوده ؟ وهذا قول في غاية السخف والسقوط .

الرد على زعم بعضهم أن استغناء الله عن علة توجده يستلزم أن الله توقف في وجوده على نفسه

يقول بعض الملاحدة قولكم أيها المؤمنون بأن الله لا علة لوجوده يستلزم أن الله توقف في وجوده على نفسه أي أن الله هو الذي أوجد نفسه بنفسه ، و هذا يستلزم أنه الله علة لنفسه ، و الجواب كلامكم أيها الملاحدة يصح لو كان الله ممكن الوجود إذ ممكن الوجود هو ما كان حادثاً بعد عدم أي وجوده له بداية فيتصور العقل وجوده وعدم وجوده فيمكن أن يوجد و يمكن ألا يوجد و هذا الحادث بعد عدم لا بد له من موجد يوجده وخالق يحدثه أي يحتاج في وجوده إلى موجد .

ولكن الله عندنا واجب الوجود أي وجوده ذاتي لا ينفك عنه فلم يكن في زمن من الأزمان بمفتقرٍ إلى الوجود ، و لم يكن في زمن من الأزمان معدوماً حتى يحتاج إلى من يخرج منه من العدم إلى حيز الوجود

سبحانه خالق الزمان والمكان ، وعليه فإن الله لا يصدق عليه أنه مخلوق ومعلول حتى نسأل عن خالقه  
وعلته أو أن نقول بأنه خلق نفسه بنفسه .

### الرد على سؤالهم لماذا تفقون بمبدأ السببية وتعطلونه عندما يتعلق الأمر بالله؟

يقول الملاحدة عندما نسألهم أيها المؤمنون عن علة وجود الله تجيبون بأن الله غير معلول الوجود ،  
فلماذا تفقون بمبدأ السببية وتعطلونه عندما يتعلق الأمر بالله ؟ والجواب على سؤالهم من وجوه :

الوجه الأول : أن الأصل في الخالق الوجود إذ لو كان الأصل فيه العدم لما أوجد الكون ؛ لأن فاقده  
الشيء الذي لا يملكه، ولا يملك سبباً لإعطائه لا يعطيه ، و إذا كان الأصل في الخالق الوجود فلا يصح أن  
نسأل عن سبب وجوده .

الوجه الثاني : أن الله أزلي فوجوده ذاتي لا ينفك عنه فلا يصح أن نسأل عن سبب وجوده ، ووجوده ليس  
له بداية .

الوجه الثالث : أن الله له الكمال المطلق إذ هو واهب الكمال لمخلوقاته فهو أحق بالاتصاف بها من  
الموهوب ، وكل كمال ثبت للمخلوق المحدث المربوب الممكن، فإنه يكون ثابتاً للخالق من باب أولى  
،وإذا كان الكمال المطلق لله ،والاحتياج يناقض الكمال المطلق فالكمال المطلق لا يحتاج إلى غيره  
،وعليه فالخالق لا يحتاج إلى غيره ،وإذا لم يحتاج إلى غيره فهو غير معلول ،و إذا كان غير معلول  
فلا يصح أن نسأل عن علته .

الوجه الرابع : أن السؤال عن سبب وجود شيء يصح فيما كان الأصل فيه الحدوث و أنه لم يكن موجودا ثم أصبح موجودا بعد عدم ،والله قديم وليس حادثا .

الوجه الخامس : لو قلنا بأن كل خالق له من خلقه أي خالق الكون له من خلقه،ومن خلق خالق الكون له من خلقه ومن خلق خالق الكون إلى ما لا نهاية فهذا يستلزم أن لا خلق للكون ،وهذا باطل لوجود الكون فوجود الكون يستلزم عدم تسلسل الفاعلين إلى ما لا نهاية ، إذ لا بد أن تصل سلسلة الفاعلين إلى علة غير معلولة ، و لا بد من سبب تنتهي إليه الأسباب وليس هناك أسباب لا تنتهي إلى شيء ، وإلا لم يكن هناك شيء أي أن التسلسل في الفاعلين ممنوع، بل لا بد أن نصل إلى نهاية ، وهذه النهاية في الفاعلين أو المؤثرين هي إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وهذا أحد ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ ( النجم : الآية ٤٢ ) .

و للتقريب نأخذ مثال الجندي والرصاصة الجندي يريد أن يطلق النار ، و لكن حتى يطلق النار، يجب على الجندي أن يستأذن من الجندي الذي خلفه ، و هذا الجندي حتى يعطي الإذن يجب أن يستأذن من الجندي الذي خلفه، و هكذا إلى ما لا نهاية. السؤال، هل سيطلق الجندي النار ؟ الجواب لا ؛ لأنه لن يصل إلى الجندي الذي سيعطيه الإذن بإطلاق النار أما إذا انتهت السلسلة إلى شخص لا يوجد فوقه أحد ليعطيه الإذن بإطلاق النار فستنطلق الرصاصة و بدون هذا الشخص ومهما كثر عدد الأشخاص لن تنطلق الرصاصة فهم كالأصفار إذ وضعتها بجانب بعضها البعض فمهما كثرت وبلغت حدا لا نهاية له : فستنظل لا تساوي شيئا إلا أن يوضع قبلها رقم ١ فأكثر .

## الرد على سؤال الملاحظة : لماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟

يقول الملاحظة إذا كان الله عندهم لا علة لوجوده فلماذا لا نفترضون أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟ والجواب فرق شاسع بين صفات الخالق التي تحمل دليل قدمه و أزليته و بين صفات المادة التي تحمل دليل حدوثها وافتقارها لمحدث ،وقول الملاحظة أن المادة الأولى غير معلولة الوجود قول بلا دليل ،والجواب عليه من وجوه :

الوجه الأول : أن العلم لا يدري ماذا كان قبل الانفجار العظيم الذي نشأ منه الكون ، و لا يدري من أين جاءت المادة التي نشأ منها الكون و تطور منها كل شيء ؟

الوجه الثاني : ليس هناك ما يدعو إلى أن المادة و الطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار العظيم .

الوجه الثالث : الفضاء والزمان وجدوا مع الانفجار العظيم ، والمادة هي كل ما له كتلة وحجم ويشغل حيز في الفراغ أي المادة تحتاج لمكان أو حيز ليحويها ،وبالتالي لا مادة دون وجود المكان الذي سيحويها .

الوجه الرابع : كون الكون تطور من المادة الأولى إلى الحالة التي هو عليها فهذا يدل أن المادة الأولى قد طرأ عليها التغير و التبديل ،وما يجري عليه التغير والتبديل لا يكون أزليا ؛ لأن كل ما يتغير و يتبدل لا بد له من مغير و مبدل أي لا بد له من سبب يغيره و يبده ،وهذا السبب لا بد أن يكون سابقا له مما ينافي الأزلية ،و مادامت المادة الأولى احتاجت إلى سبب يغيرها من حال إلى حال و سبب يبدها من حال إلى حال فالمادة محتاجة إلى غيرها غير مستغنية بنفسها مما يدل أن المادة حادثة ،و لو كان الأصل فيها الوجود الأزلي لم تكن عرضة للتحويل والتغير والتبديل .



## هل القول بخالق للكون يفتح الباب للتسلسل الممنوع ؟

يزعم الملاحدة أن القول بخالق للكون سيؤدي بنا إلى القول أن هذا الخالق له خالق آخر ، وهذا يمهد الطريق لآخرين ليضيفو خالقين آخرين مما يفتح الباب للتسلسل الممنوع وهذا الكلام فيه خلط للحقائق ،وتسوية بين صفات الخالق القديم الأزلي ،وصفات المخلوق الحادث فالخالق لا يُخلق ،والقديم لا يُحدَث ،وكون الله الخالق قد خلق الكون فهذا يقطع بعدم التسلسل في الفاعلين ؛ لأن من صفات الخالق أنه الأول فليس قبله شيء ،وبذلك لا يوجد تسلسل في الفاعلين .

هذا و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

مراجع المقال :

- ١- الشرك في القديم والحديث أبو بكر محمد زكريا
- ٢- الفيزياء ووجود الخالق د. جعفر شيخ إدريس
- ٣- صراع مع الملاحدة حتى العظم الشيخ عبد الرحمن الميداني
- ٤- كواشف زيوف الشيخ عبد الرحمن الميداني